من قضايا المنهج في صناعة المصطلح العلمي العربي.

د . عبد الناصر بوعلي (ج. تلمسان)

مقدمة:

إن المتصفح للمعاجم العربية الحديثة المتخصصة، والدراسات المصطلحية المعاصرة يلاحظ اضطرابا في صناعة المصطلح العلمي العربي، وذلك راجع في الأغلب إلى تمكّن ثقافة التّبعية في نفوس المثقفين في الوطن العربي، بالإضافة إلى الغزو المصطلحاتي السّريع الذي لم يترك لنا متّسعا للتفكير في إيجاد مسميات للمخترعات والابتكارات العديدة والأفكار الكثيرة التي تفد بلداننا بفعل التطور التكنولوجي الهائل في مجال الاتصالات. زيادة على بروز ظاهرة التشتت والاختلاف بين عواصم الأقطار العربية التي تدعي كل منها إمارة اللغة العربية ومسؤولياتها عن تطويرها.

ويساهم في ذلك أيضا قصور المؤسسات والهيئات العلمية التابعة للمنظمات والجمعيات العربية المهتمة بقضايا البحث العلمي.

ونشير بأن إلحاق اللغة العربية بالتطور العلمي يفرض التحكم الجيّد والصّحيح في استعمال المصطلحات، فالمصطلحات هي مفاتيح العلوم وعليها المعول في تطوير المفاهيم وضبط فروعها ومناهجها. وقد أثبتت اللغة العربية جدارتها في استيعاب المعارف والعلوم المختلفة، وأظهرت استعداداتها للتفاعل مع المستحدثات، وتاريخها يشهد على عظمتها في هذا المجال، لذلك أردت في هذا المقال طرح بعض القضايا المنهجية التي ينبغي مراعاتها في صناعة المصطلح العلمي العربي، وأملي أن أسهم . ولو بقليل . في توضيح بعض الرؤى التي يحتاجها المشتغلون في مجال المصطلح العربي.

مواجهة الإشكالية:

بدأ العرب يعنون في العصر الحديث بقضايا المصطلح في القرن التاسع العشر الميلادي، أثناء حركة الإحياء العلمي العربية باللجوء إلى الترجمة، والتعريب، والاشتقاق، والنحت وكل ما تعرفه اللغة العربية من طرق النماء والترقية[1]

وقد كانت تلك الحركة الإحيائية تشبه إلى حدّ بعيد حركة الإنشاء التي قادتها بيت الحكمة في بغداد أواخر القرن الثّاني الهجري (الثامن الميلادي)[2] والتي اعتمدت بدورها على الترجمة، وعلى بقية وسائل تطوير اللغة العربية. وقد تشابهت الحركتان في نزعتهما إلى التأسيس، وتمكنت بيت الحكمة من تأسيس ثقافة علمية عربية واسعة لم يكن للعرب بها علم في السّابق، وبذلك تمكنوا من استحداث مصطلحات في مختلف أنواع العلوم. وقد كان لعلوم اللغة الباع الأكبر في ظهور مصطلحات معجمية، وصوتية، وصرفية، ونحوية، وبلاغية، وعروضية حفلت بها أمهات الكتب العربية[3] وأنشأ الفقهاء مصطلحات فقهية خلّدت الفقه الإسلامي وجعلته يحتل الريادة في المجال التشريعي والقانوني، ومازالت هاته المصطلحات تزاحم المصطلحات القانونية العالمية إلى اليوم، وأفضت على العلوم الدينية طابعا علميا قيما.

وتوالت عملية صناعة المصطلحات العلمية في النبات، والعمران، والفلك، والطب، والصّيدلة، والهندسة، والرياضيات وغيرها من العلوم، وقد كتب لهذه المصطلحات البقاء والانتشار السريع.

على أنّ المتمعن في الحركة الثانية يلاحظ أنها كادت أن تولد ميتة فعلى الرغم مما حقّقه بعض العلماء في إحداث العديد من المصطلحات فإن ثمارها لم تحقق القفزة العلمية المنشودة، ولم تتمكن من تأسيس ثقافة مصطلحاتية عربية، والملاحظ في هذه الفترة أن حركة الترجمة المعتمدة لم تكن هادئة، وإنما سادها اضطراب وعجلة بفعل

التسارع المعلوماتي الهائل الذي غزا العالم العربي واجتاح الثقافة العربية بقوة نظرا للاستهلاك المتزايد لمنتجات التطور العلمي والتكنولوجي الغربي في مجتمعاتنا العربية.

لقد انتحت الترجمة الحديثة معاجم علمية متخصصة ثنائية اللغة أو متعددة اللغات (فرنسي/عربي)، (انجليزي/عربي)، (فرنسي/انجليزي/عربي) رتبت مداخلها المعجمية حسب الأبجدية الأجنبية يقابلها تسمية باللغة العربية، وكثيرا ما تكون هذه التسمية عبارة عن شروح، ورغم ما قدمته هذه المعاجم من فوائد إلا أن المصطلح المترجم جاء ثانويا لا يثير الانتباه فما بالنا بالاستعمال، ولعل ذلك كان من الأسباب التي جعلت أهل الاختصاص يلجؤون في بحوثهم ومحاضراتهم إلى استعمال المصطلح الأجنبي، وحتى وان استعمله بالعربية فإنه لا يرتاح له بال حتى يذكره بلغته الأجنبية الأصلية.

إنّ العديد من المعاجم التي تعتمد الترجمة من اللّغات الأجنبية إلى العربية هي في حقيقة أمرها تكريس لاستعمال المصطلح الأجنبي لأنها في الكثير من الأحيان لا تقدم البديل بل إنها تجنح إلى الشرح والتفسير للمصطلح الأجنبي، والكل يعرف إننا في الوقت الراهن تلاميذ الغرب نتلقى عنهم العلم والتكنولوجيا والاختراع والمناهج، ونتخذهم قدوة في مجال البحث العلمي، ولذلك فالأفكار تنشأ عندهم، والمخترعات تحدث في بلدانهم فيسمونها بأسماء مشتقة من لغاتهم القديمة والحديثة من لاتينية، ويونانية، وانجليزية، والألمانية، وغيرها، وحين يفد إلينا يصل مشحونا بثقافته وطبيعة مدرسته التي اصطلحت عليه.

ولذلك نحن الآن أمام وضعية خاصة فمن جهة نريد أن نعرف هذه الفكرة ونطلع على طبيعة هذا المخترع وأن نعلّم ذلك لطلابنا فبم نسمّي هذه الإبداعات؟

فهل نحتفظ بأسمائها الأصلية وبذلك تأتي في استعمالاتنا نتئة تبعث على الحيرة والقلق، أم نحوّرها حتّى تناسب طرق الصياغة العربية دون أن تفقد دلالاتها الأصلية، أم أننا نستلم لغتنا كي تمدَّنا بمسميات تحل محل المصطلحات الأجنبية عن طريق أوجه التوليد اللغوي المختلفة.

<u>أراء لحلول الإشكالية</u>:

ينبغي أن ندرك جيدا أن المصطلح العلمي يستحق وقفة خاصة وعناية فائقة تضطلع بها الجهات الرسمية المعنية بتنشئة المصطلح أهمها:

1-المجامع اللغوية في الوطن العربي، وهنا يجدر بنا أن ننوّه بالمجهودات التي بذلها مجمع القاهرة فالمتصفح لأعمال هذا المجمع يعثر على إنتاج وفير واجتهاد مثمر في العديد من التَّخصُّصات العلمية، في النباتات، والكيمياء، والفيزياء، والاقتصاد، والرياضيات، والقانون، والتجارة... وقد دخل العديد من هذه المصطلحات ميدان الاستعمال في الوطن العربي، وتم التطبيق بإيجاب وحدثت تلقائية حسنة في عمليات التداول، وتبقى العملية في حاجة إلى دفع وتشجيع معنوي ومادي وعناية لدى أهل الاختصاص الغيورين على مستقبل اللغة العربية، وندعو إلى إحداث آلية تكامل

بين المجامع العربية (مجمع القاهرة، مجمع دمشق، مجمع بغداد، مجمع الرباط ...) وحبذا لو يرقى الاجتهاد إلى مستوى لجان الجامعة العربية المكلفة بالثقافة والعلوم.

2-الجامعات والمدارس المتخصصة والمخابر العلمية: على هاته المؤسسات أن تدخل ميدان صناعة المصطلح العلمي بتوجيه من الجهات الوصية وفق برامج وطنية تراعي طبيعة هاته المؤسسات، وأن لايبقى الأمر قاصرا على المبادرات المعزولة والاجتهادات الفردية لأنها في النهاية لن تتمكن من اقتحام هذا الحصن بسهولة.

وعلى هذه المؤسسات أن تسلك منهجا علميا دقيقا يقوم على العودة أولا إلى التراث اللغوي العربي فقد نجد في اللفظ المستعمل أو المهمل ما يؤدي هذه الوظيفة ويطابق الفكرة العلمية المبتكرة، ثم استغلال قواعد اللغة الغربية، فإن في صرفها ما يساعد كثيرا على استحداث المصطلح العلمي فميدان الاشتقاق وما يحويه من صيغ المبالغة واسم الفاعل و أوزان اسم الآلة وأوزان المصادر يمكن استغلالها إلى حدّ بعيد لإحداث العديد من المسميات من ذلك مثلا:

أ/ في أسماء الآلة:

- مزلال لقياس درجة الزلزال.
- ممطار لقياس كمية الأمطار.
- مرياح لقياس سرعة الريح.
- مضغاط لقياس درجة الضغط.

- مطرزة وهي آلة تستعمل في الطرز.

ب/ في أوزان صيغ المبالغة:

- غسَّالة لتسمية آلة الغسل.
- حفارة لتسمية آلة الحفر.
- صقالة لتسمية آلة الصقل الميكانيكية.
- عدّاد يدل على جهاز يتولّى عملية العدّ، ومنه العداد الكهربائي وعدّاد السرعة.
- صرّاف للدلالة على الجهاز القائم بعملية صرف العملة.

ج/ في أوزان المصادر:

- تحميص على وزن تفعيل للدلالة على عملية حمصنة الشيء.
- تشعيع على وزن تفعيل من مادة شعع للدلالة على تعريض المادة لأشعة إكس (x) وهو من مصطلحات علم الطبيعة النووي[4].
- ترميز على وزن تفعيل من مادة (رَمَزَ) للدلالة على استعمال الرمز في تخصص ما
- ترسيب على وزن تفعيل من مادة رسب ومنه ترسيب المعادن[5]

وتأتي وسيلة النحت التي عرفتها اللغة العربية قديما مرفأ آخر لتوليد المصطلح العلمي، وقد قرر العلماء المعاصرون الأخذ به نظرا لحاجة اللغة العربية لإثراء ثروتها المصطلحية[6]، ومن المصطلحات المنحوتة التي يتم استعمالها نجد:

- الرسملة من رأس المال.
- التغويز من تحويل الغاز.
- كهروصوتي من الكهرباء الصوتية.
- كهرومغناطيسي من الكهرباء المغناطيسية.
- كهروكيميائي من الكهرباء الكيميائية.

ثم نجد في العربية وسيلة التعريب التي تعدو بدورها رافدا مهما من روافد توليد المصطلحات عندما تقتضي الضرورة الملحة ويسمي بعضهم التعريب بالاقتراض والدّخيل، وهو وسيلة قديمة في اللغة العربية عرفه الجوهري بقوله: "تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على مناهجها، تقول عربته العرب وأعربته أيضا [7] نفهم من هذا أن التعريب هو نقل اللفظ العجمي إلى العربية مع إخضاعه لقوانين العربية الصوتية والأوزان الصرفية، وهذا مراعاة للذوق العربي، وقد حفلت العربية بالكثير الكثير من المصطلحات المعربة نورد أمثلة منها:

السيميائية . المكننة . الرَّسكلة . البسترة (بسترة الحليب) . النرفزة . الفرملة

وتأتي الترجمة كذلك لتشكل منفذا آخر يساعد على تدعيم اللغة العربية بمصطلحات العصر، وهي محطة تشترك فيها جميع اللّغات، مارسها العرب منذ القدم ونجحوا في نقل أثار حضارات الأمم السابقة إلى العربية، وتشكل اليوم منفذا مهما في دعم اللغة العربية بالمصطلح العلمي، ونشير بأن الترجمة إلى العربية تعرف تداخلا

يتمثل في أننا نترجم عن المصطلح الفرنسي المترجم بدوره عن الإنجليزية وقد لا يطابقه في العديد من الحالات، كما يلاحظ اختلاف بين أقطار العالم العربي في اختيار لفظ المصطلح العربي المترجم، فمصطلح Linguistique ترجم في الجزائر باللسانيات بينما ترجمه إخواننا في تونس بالألسنية، بل وهناك تعدد حتى في الكتابة العربية للمصطلح المترجم، فمصطلح Gramme يكتب في بلاد المغرب العربي: (غرام) ويكتب في المشرق العربي: (جرام) ومصطلح Carbone يكتب عند البعض بالمَّد (كاربون) ويكتبه آخرون (كربون) بدون مدّ.

وأما بشأن ترجمة الرموز الرياضية فقد ترجمت الحروف الرياضية اللاتينية (ABCD) بـ (أ ب ج د)، كما ترجمت الرموز ذات الدلالة العلمية التي تدخل في المعادلات والصيغ والقوانين الرياضية والفيزيائية والكيميائية ورموز السرعة والوزن والسعة والكثافة والقياس، وقد سادت هذه الترجمة أمدا وتعلمت أجيال العلوم بها على أنَّه تم التراجع عنها في السنوات الأخيرة وغدا الرمز اللاتيني يستعمل بنفسه، ولا ندري أفي هذا الاستعمال منفعة علمية وبيداغوجية، وإن المبرر الذي قدم لتبرير هذا التغيير هو زعمهم أن هذه الرموز مشاعة عالميا، والأخذ بها من باب تيسير عملية التعلم وتساعد على تفهم ما تحتويه المراجع الأجنبية من معارف علمية.

على أن هذا التبرير يبقى غير مقنع فاللغة العربية قادرة على إيجاد الرموز المقابلة للرمز الأجنبي، وإن ذلك لا يطرح أبدا قصورا في الفهم والاستيعاب.

والخلاصة:

فهاته قضايا عامة مطروحة في مجال منهج صناعة المصطلح العلمي، أرى جدارة مراعاتها ما أمكن ذلك في وضع المصطلحات العلمية توخيا لتجنب الفوضى والغموض والالتباس والتعقيد، ويمكن تلخيص هذه القضايا فيما يأتي:

1-يفضل المصطلح العربي على المعرب والمترجم.

2-اللجوء إلى وسائل تطوير اللغة العربية قبل الترجمة والتعريب مع عدم الخروج عن قواعد اللغة العربية.

3-لا يصطلح بألفاظ مختلفة للمعنى العلمي الواحد.

4-يتخذ المصطلح لأدنى علاقة بالمعنى.

5-يجب البحث المستمر عن مصادر عربية تشتق منها المعاني التي عليها أن تلبي حاجات العصر.

6-ينبغي الخروج من طور المحاولات الفردية إلى ميدان البحث العلمي المنظم الطويل النفس في تنشئة المصطلح العلمي.

هوامش البحث:

[1] – ينظر مقالتنا "تطوير اللغة العربية" العدد 26 ،السداسي 02 ،السنة 2010

[2] – راجع جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، 3/ 327.

[3] – أمثال: العين للخليل، الكتاب لسيبويه، الكامل للمبرد، الخصائص لابن جني، البيان والتبين للجاحظ، المخصص لابن سيده وغيرها.

[4] – رمضان النجار نادية، طرق توليد الثروة اللغوية، ص 47، نقلا عن مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع اللغوي بالقاهرة.

[5] – فايد كامل وفاء، المجامع العربية وقضايا اللغة، ص 108.

[6] – نفسه ص 259.

[7] –لجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (عرب).

مراجع البحث:

1- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، موفم للنشر، وحدة الرغاية، الجزائر، 1993.

2- الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية (المعروف بالصحاح)، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1984.

3- رمضان النجار نادية، طرق توليد الثروة اللغوية.

4- مجلة اللغة العربية، إصدار المجلس الأعلى للغة العربية، العدد26، السداسي 02، السنة 2010.